الدّولة الخوارزمية من النشأة إلى السقوط 490- 628 هـ 1096- 1231م

أ.زينب مفتاح التواتي ـ قسم التاريخ كلية التربية الزنتان ـ جامعة الزنتان.

The Khwarazmian State from its inception to its downfall (490-628 /1096-1231)

Abstract

The aim of the research is to provide a brief account of the history of the Khwarazmian state from its establishment until its fall. The Khwarazmian state was established in the fifth century AH, the eleventh century AD, and was a prominent Islamic state in the Islamic East. Its origin was the Khwarazm region, which is located in the eastern part of the Islamic state in Asia. It was first under the rule of the Seljuks, until it became independent as a state under Anushtakin, who was appointed by the Seljuk Sultan Malik Shah as governor of Khwarazm in the year 471 AH (1077 AD). After Anushtakin died in the year 490 AH / 1097 AD, his son Qutb al-Din Muhammad succeeded him in the emirate, who was given the title Khwarazm Shah. After the stage of emergence came the stage of expansion and spread, as the Khwarazmian state expanded during the reign of Sultan Ala al-Din Takish, and his reign, which extended for more than a quarter of a century (568-596 AH / 1173-1200 AD), is considered the golden age of the Khwarazmian state, as he was able to defeat the Seljuks and seize their lands and state. Then, after Takish died, he was succeeded by his son Ala al-Din Muhammad, during whose rule the Khwarazmian state expanded greatly, and he seized the region of Khorasan and Transoxiana. The Khwarazmian state expanded even more during the reign of Ala al-Din Muhammad, as it reached its maximum expansion during his reign, extending from Iraq in the west to India in the east, and from the north of the Caspian Sea and the Aral Sea in the north to the Arabian Gulf and the Indian Ocean in the south. This expansion coincided with the emergence of the Tatars (Mongols) led by Genghis Khan, who seized China, then began to advance with his armies towards the west, i.e. towards the Islamic countries, so the clash between the two states was inevitable. At the beginning of the seventh century AH (thirteenth century AD), wars began between the Khwarazmians and the Mongols in early 612 AH/1215 AD, so the cities of the Khwarazmian state fell one after the other, so the Mongols

entered Atrar, Bukhara, and Samarkand in 616 AH/1219 AD. In the end, the Mongols were able to defeat and destroy the Khwarazmian state in 628 AH (1231 AD), which led to the end of the Khwarazmian state. Among the most important reasons for this fall and the end of the Khwarazmian state were not only the Mongol war, but also the preoccupation of its sultans with internal wars, as well as the war with the Abbasid Caliph Al-Nasir li-Din Allah in Iraq, and the greed for the rapid expansion of the state without considering the danger coming from the east. Keywords of the research: Khwarazmian state, Khwarazmian sultans, Abbasid Caliphate, Mongol invasion.

الملخّص:

هدف البحث إلى سرد موجز لتاريخ الدولة الخوارزمية من تأسيسها وحتى سقوطها، فالدولة الخوارزمية تأسست في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، وكانت دولة بارزة من الدول الإسلامية في المشرق الإسلامي، وكان مكان نشأتها إقليم خوارزم، الذي يقع في شرق الدولة الإسلامية من آسيا، كان أولها تحت حكم السلاجقة، حتى استقل بها كدولة أنوشتكين، الذي كان قد عينه السلطان السلجوقي ملك شاه واليًا على خوارزم في عام 471هـ (1077م)، وبعد أن توفى أنوشتكين سنة (490هـ / 1097م)، خلفه على الإمارة ابنه قطب الدين محمد، الذي لُقب خوارزم شاه.

وبعد مرحلة النشأة جاءت مرحلة التوسع والانتشار، حيث توسعت الدولة الخوارزمية في عهد السلطان علاء الدين تكش، وتعد فترة حكمه التي امتدت أكثر من ربع قرن (568-596هـ/ 1173-1200م) هي العصر الذهبي للدولة الخوارزمية، حيث تمكن من هزم السلاجقة، والاستيلاء على أراضيهم ودولتهم، ثم بعد أن توفى تكش، خلفه ابنه علاء الدين محمد، الذي توسعت الدولة الخوارزمية في حكمه أيما توسع، واستولى على إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر، وزادت دولة الخوارزميين توسعا أكبر في عهد علاء الدين محمد، حيث بلغت في حكمه أقصى توسعاً لها، فامتدت من العراق غربًا إلى الهند شرقًا، ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالاً إلى الخليج العربي والمحيط الهندي جنوبًا.

جاء هذا التوسع بالمزامنة مع ظهور التتار (المغول) بقيادة جنكيزخان، الذي استولى على الصين، ثم بدأ في الزحف بجيوشه نحو الغرب، أي نحو دول الإسلام، فكان الصدام بين الدولتين حتميًا، ففي بداية القرن السابع الهجري (الثالث عشر

الميلادي)، بدأت الحروب بين الخوارزميين والمغول في أوائل في عام (612هـ/ 1215م)، فسقطت مدن دولة الخوارزميين تباعاً فدخل المغول أترار، وبخارى، وسمرقند، في عام (616هـ/ 1219م)، في النهاية، تمكن المغول من هزيمة الدولة الخوارزمية وتدميرها في عام 628هـ (1231م)، مما أدى إلى نهاية الدولة الخوارزمية، ومن أهم أسباب هذا السقوط وانتهاء الدولة الخوارزمية ليس فقط حرب المغول، بل انشغال سلاطينها بالحروب الداخلية، وأيضا الحرب مع الخليفة العباسي الناصر لدين الله في العراق، والطمع في توسع الدولة سريعاً دون النظر في الخطر القادم من الشرق.

الكلمات المفتاحية:
الدولة الخوارزمية، سلاطين خوارزم، الخلافة العباسية، الغزو المغولي.

المقدمـــــة:

تعد دراسة الدولة الخوارزمية من النشأة إلى السقوط من الموضوعات المهمة التي تسلط الضوء على فترة تاريخية حافلة بالأحداث والتحولات السياسية والاجتماعية. تأسست الدولة الخوارزمية في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وازدهرت لعدة قرون قبل أن تنهار في ظل هجوم التتار في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، مع التعرف وفهم الأسباب والعوامل التي أدت إلى نشأة الدولة وتوسعها، وكذلك تحليل الظروف والأحداث التي أسهمت في سقوطها وتلاشيها

مشكلة البحث وتساؤلاته :

من خلال هذا البحث، أسعى إلى تقديم رؤية تاريخية موجزة لهذه الفترة التاريخية، مع التركيز على التواريخ والأحداث الرئيسية التي شكلت مسيرة الدولة الخوارزمية منذ نشأتها حتى سقوطها، حيث يثير هذا البحث إشكالية قيام وصعود ثم زوال دولة خوارزم، وما صاحب هذه المراحل من أحداث والشخصيات المؤثرة في هذه المرحلة، والتأثير على الدول الإسلامية الموجودة آنذاك ، لأن هذه الأحداث بنت لدينا التساؤلات التالية:

- من هم الخوارزميون، ومتى قامت دولتهم وكيف تأسست؟ وما هي مدّة حكمهم وانتشارهم؟
- من هم أهم السلاطين الخوارزميين؟ وكيف أسسوا وبنوا دولتهم؟ وما هو نظام حكمهم؟

ـ كيف كانت علاقة حكام خوارزم بالدول المجاورة لهم؟ المسلمة وغير المسلمة؟ وام هي الأحداث التي جرت بينهم وبين تلك الدول؟

ـ ما علاقة دولة خوارزم بالغزو المغولي للدول الإسلامية؟

ـ كيف كانت العلاقة بين الدولة الخوارزمية ودول الخلافة العباسية؟

ـ ما هي الدروس المستفادة من تاريخ الدولة الخوارزمية؟ وما هي أهم سماتها الاجتماعية والثقافية؟

ويهدف البحث إلى:

التعرف معرفة تاريخ الدولة الخوارزمية، من التأسيس وحتى السقوط من خلال النظر في مصادر التاريخ المختلفة بهدف:

ـ التوصل إلى أهم سمات الحكم الخوارزمي، والأحداث الفارقة في تاريخهم.

ـ فهم العلاقات السائدة إبان حكم الخوارزميين ودول الجوار.

ـ استكشاف دور الخوارزميين في تاريخ الأمة الإسلامية.

ـ استخلاص تاريخ الخوارزميين مع الغزو المغولي ووصف تلك الحالة.

ـ التعرف على النظام السكاني والواقع الاجتماعي والثقافي للدولة الخوارزمية.

أهمية البحث :

فيما تتمحور أهمية الموضوع في التعرف على تاريخ الدولة الخوارزمية سياسياً واجتماعياً وثقافياً، وإن كان بشكل موجز، مما يضيف إلى أذهاننا أهمية تلك الفترة، والأحداث التي جرت بها، والصعود والهبوط في السياسات وأحوال البلاد الإسلامية في تلك المراحل، وسرد بعض الأحداث والنزاعات التي قامت بين الدول المتجاورة الإسلامية وغير الإسلامية، وما هي أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط الدولة الخوارزمية، وأيضا دخول المغول إليها وإلى الدول الإسلامية التي من بعدها، حيث تتبلور أهمية هذه الدراسة في فهم تلك الأحداث والاستفادة منها ك دروس وعبر تاريخية.

ـ وأما عن منهج البحث فيتوافق مع بحثنا المنهج السردي التاريخي، والذي نقصد به سرد أحداث حقبة تاريخية معينة، ومعرفة جوانبي ونواحي وآثار تلك الحقبة، مع أهم الشخصيات التاريخية المؤثرة فيها، ولكن بناء قضية هذا البحث جعلت المنهج الاستقرائي دور فيه، حيث عن الموضوع بأجزاء القضية من قيام دولة معينة

وصعودها وسقوطها، وعلاقاتها مع دولها المجاورة، ليصل إلى نتيجة واحدة وهي الطريق إلى نهاية دولة خوارزم ودخول المغول إلى دول الخلافة الإسلامية.

هذا المنهج ندرس به موضوعنا عبر حدود الحدود الزمنية التاريخية: حيث تبدأ هذه الحدود من قيام دولة خوارزم عام (490- هـ/ 1096م) وتنتهي الحدود بسقوط وانتهاء الدولة خوارزم سنة: (628هـ/ 1231م)، والحدود الموضوعية للبحث التي تتمثل في أحوال الدولة الخوارزمية وعلاقتها بدول الجوار فقط دون التطرق إلى ما كان قبلها أو بعدها إلا ما كان متصلا وله علاقة مباشرة بتأسيسها وصعودها وسقوطها، وأيضاً الحدود المكانية للأحداث والمعارك والدول اتصل فقط بدول شرقي ووسط وغرب آسيا تلك المرحلة، وقد قُسم البحث إلى مقدمة، وثمانية مباحث هي:

المبحث الأول: نشأة وتأسيس الدولة الخوارزمية، والمبحث الثاني: بداية النفوذ الخوارزمي، والمبحث الثالث: اتساع الدولة الخوارزمية وعلاقتها مع المغول، والمبحث الرابع: أسباب هزيمة الخوارزميين أمام المغول، والمبحث الخامس: الخوارزميين والخلافة العباسية، والمبحث السادس: علاقة الدولة الخوارزمية مع الأيوبيين والإسماعيلية، والمبحث السابع: علاقة الدولة الخوارزمية ببلاد الشام والجزيرة، والمبحث الثامن: الحياة الاجتماعية والثقافية إبان الدولة الخوارزمية.

خاتمة وتضمنت أهم نتائج البحث. ثم قائمة بالهوامش، والملاحق

المبحث الأول ـ نشأة وتأسيس الدولة الخوارزمية:

أولا ـ نشأة الدولـــة الخوارزميـــــة: نشأت دولة الخوارزميين بين أحضان دولة السلاجقة، التي حكمت مناطق واسعة في الشرق الإسلامي، فإقليم خوارزم يقع في شرق الدولة، وحكمه المسلمون في العصر الأول، وفي العصر العباسي الثاني، وعصر الدولة المستقلة، وحكمه الطاهرون والصفويون، والسامانيون، والسلاجقة.

ولما ضعفت الدولة السلجوقية برز في الحياة السياسية القادة الترك، ومن بينهم (أنوشتكين)، الذي تنسب إليه الدولة الخوارزمية، فهو أحد عبيد السلطان السلجوقي، (ملك شاه) [1]، الذي كان يشغل وظيفة الساقي، وتدرج في سلك الوظائف السلجوقية، وأخذ يترقى نتيجة لمهاراته وأمانته، فقد أحسن تأديب ابنه محمد وأعده لتولي مناصب في الدولة السلجوقية، فاشتهر بالعلم والأدب، فوقع اختياره من قبل أحد قادة السلطان التلج وقي (بركياروق بن ملكشاه)، ليكون واليا على إقليم خوارزم، ولقبه: خوارزم شاه، أي ملك خوا رزم[2]، فكان محمد بن أنشط كين على مقدرة هو كفاية مثل أبيه،

وذلك بداية قيام الإمارة الخوارزمية التي أخذت تظهر على مسرح الأحداث تدريجيا، مع إعلان تبعيته السلاجقة، فضل يحكم باسم الدولة السلجوقية ثلاثين عاما، نجح في أثنائها في تثبيت سلطانه ومد نفوذه، وتأسيس دولته، وعرف بأمير خوارزم، والتصق به اللقب، وعرف به حتى وفاته سنة (521هـ، 1127م)، بذلك يكون محمد بن أنوشتكين، هو المؤسس الحقيقي للدولة الخوارزمية [3].

ثانياً ـ أطماع الخوارزميين في الدول المجاورة: فبعد موت محمد من أنوشتكين خلفه ابنه آتسز بموافقة السلطان السلجوقي سنجر، وكان آتسز والياً طموحا، مد بصره فرأى الدولة السلجوقية شك على الانهيار، فتطلع إلى بسط نفوذه على حسابها، وكان أستر أول سلاطين هذه الأسرة التي فكروا في الاستقلال، عن السلطة السلجوقية. [4]

فبدأ باقتطاع أراضيها وإخضاعها لحكمه، فدخل في حروب مع السلطان السلجوقي سنجر الذي وقف بالمرصاد لطموحات آتسز، ولم يتمكن من تحقيق أطماعه، وأجبر على الاعتراف بتبعيته له. [5]

ولكن رغبة آتسز في تحقيق الاستقلال الكامل عن الدولة السلجوقية، لم يتوقف، فأخذ يثير ضدها الاضطرابات والمشاكل، وفي نهاية المطاف، اضطر السلطان السلجوقي إلى الاعتراف باستقلال دولة خوارزمي شاه. [6]

ففي الوقت الذي بدأ الضعف يدب في الدولة السلجوقية، كانت الدولة الخوارزمية تزداد قوة، حتى تمكنت من نزاح الدولة السلاجقة، على ما كان تحت أيديها من البلاد، وكان السلطان (تكشن)، بطل هذه المرحلة، وتعد فترة حكمه التي امتدت أكثر من ربع قرن: (568-596 هـ/ 1173- 1200م)، العصر الذهبي للدولة الخوارزمية. [7]

المبحث الثاني ـ بداية النفوذ الخوارزمي:

تهيأت الظـــروف لخوارزم شاه انت ز ليعلن استقلاله نهائيا عن السلاجقة وذلك سنة 538 هـ 1143 م، فبعد أن أخفق السلطان سنجل في القضاء عليه، بهذا أصبح ل خوارزم كيان سياسي مستقل، ولم يبقى أمامهم سوى الحصول على اعتراف الخليفة العباسي حتى يصبح حكمهم شرعي أمام رعاياهم، ومن أجل تحقيق هذا الهدف، أرسل آتسز رسالة إلى الخليفة العباسي المتقي لأمر الله، أكد له إخلاصه وولائه للخلافة، وطلب منه أن يوليه خوارزم، فلم يتردد الخليفة في طلبه وبعث له بالموافقة والتشريعات، وهذا يدل على اعترافه به حاكما شرعيا على إقليم خوارزم.[8] ، فلم يحقق سنجر هدفه وذلك بالقضاء على الخوارزميين فاضطر إلى الاعتراف آتسز

حاكما مستقلا على الإمارة السلجوقية، التي انغمست آنذاك، في المنازعات الداخلية، وانشغال سلاطينها عن مواجهة أعدائهم في الخارج، فتهيأت الفرصة للخوارزمي ينال يلعبوا دورا بارزا في توجيه سير الأحداث في القسم الشرقي من العالم الإسلامي. (9)

وسيطر آتسز على خوارزم، وكل بلاد فارس ما عدا إقليمي فارس وعربستان فامتدت سيطرته شرقا حتى جبال السن، إلا أنه توفي عام 551 هـ / 1156 م، فتنافس الأمراء على عرشه من بعده، فاضطر ابن آتسز (آيل أرسلان)، الذي خلف أباه، إلى التخلص من منافسيه، ففي عهده مات السلطان السلجوقي سنجر، وتمكن آيل أرسلان من السيطرة على بعض بلاد خراسان وما وراء النهر، بذلك اتسعت الدولة الخوارزمية، ونتيجة لاقترابه من دولة الخطأ، دخل في حروب معهم هزم فيها وتوفي على إثر ذلك عام: 558هـ/ 1163م. (10)

بعد وفاة أيل لأرسلان بدأ الصراع بين ولديه علاء الدين تكش، والسلطان شاه الذي عهد بالحكم لولده السلطان شاه من بعده، الذي كان طفلا فحكمت أمه الملكة خانون البلاد نيابة عنه، إلا أن أخاه الأكبر تكش لم يرض بذلك، ووجد نفسه الأحق بولاية العرش بعد أبيه، فدارت الحرب بين الأخوين واستمرت عشرة سنين، انتهت بانتصار تكش، فاستولى على خوارزم، وبقي السلطان شاه يحكم بعض بلاد خرسان حتى توفي سنة 589 هجري 1292 م وصارت بذلك المملكة كلها تحت سيطرة تكش. (11)

فلما تولى تكش زمام الأمور، استغل انقسام السلاجقة على أنفسهم وانشغالهم بالحروب والفتن الداخلية، فعمل على التوسع فاستولى على الري سنة 588 هـ 1192 م، وضم إقليم الجبال، واشتبك مع السلطان طغرل بن أرسلان السلجوقي، وهزمه، وانتهت بمصرع السلطان طغرل نفسه سنة 590 هـ 1193 م ، وزحف نحو همدان واستولى على الإقليم كله، وعاد إلى خوارزم. (12)

المبحث الثالث ـ اتساع الدولة الخوارزمية وعلاقتها مع المغول:

وبعد وفاة علاء الدين تكش، فسلم مقاليد الحكم ابنه على الدين محمد، سنة 596 هـ 1199 م ، وكان يطمع إلى التوسع في دولته، ففي عهده توسعت الإمارة الخوارزمية أقصى اتساع لها فامتدت من بحر قزوين شمال إلى الخليج العربي جنوبا، ومن حدود العراق غربا إلى الهند شرقا، فبدأ عهده بالدخول في منازعات مع الدول المجاورة، فاشتبك مع حكام الإمارة الغورية، الذين استولوا على بعض مدن خرسان الواحدة تلو الأخرى(13) وشن عدة حملات عسكرية ضد دولتي الخطأ التي انتهت بإزالة دولتهم

سنة 606 هـ 1969م ، فارتكب بذلك خطأ؛ إذ أصبح وجها لوجه أمام المغول، بعد أن كان الخط يشكلون سدا منيعا بينهم وبين بلاد المسلمين.[14]، إلا أن ذلك لم يقف أمام التوسع على الدين محمد فاستولى على بلاد ما وراء النهر، فضم الاقليم الواقعة غرب نهر السن، فاستولى على غازية حاضرة الإمارة الغورية، بذلك بلغت دولته وقت درجات القوة والاتساع. [15]

وبدأ الإعصار المغولي الرهيب على بلاد العالم الإسلامي، وجاء جنكيز خان بحشد كبير في الهجمة المغولية الأولى لغزو مملكة خوارزم شاه، وخرج له محمد بن خوارزم شاه بنفسه، وكان هذا سنة 616 هـ، فدولة المغول كانت قد احتلت تقريبا كل شرق آسيا، ولم يبق غير الدولة الخوارزمية، والتقى جيش المغول مع جيش محمد بن خوارزم شاه في شرق الدولة الخوارزمية [16]، والتي ظلت في نظر القبائل المغولية أرضا لا يمكن أن تستباح حرماتها بأية قوة، وتمكن جنكيز خان من دخولها وفتح بكين عاصمة الصين الشمالية، وذلك عام 623 هـ. [17]

وأظهر جلال الدين كفاءة وقدرة لا بأس بها في الدفاع عن الدولة الخوارزمية في تلك المرحلة الخطيرة التي واجهتها، فبذل جهودا كبيرة في قتال المغول والتصدي ل زحفهم، بعد أن أصبحت بلاده في ذروة قوتها، استطاع أن يرد هجوما مغوليا سنة 617 هجري، إذا دحر جيش المغول وأنزل بهم هزيمة كبيرة في قتال استمر يوما كاملا. **(18)**

بعد ذلك غادر جلال إلى الهند على إثر انكساره أمام المغول وذلك سنة 619 هـ 1222 م، وانسحب المغول وعائدين إلى الشرق مؤقتا بعد أن حققوا نصراً على قوات جلال الدين، فبعد ذلك عاد جلال الدين ترتيب الصفوف في جيشه وتمكن من الاستيلاء على بلاد فارس وغيرها من البلدان التي دانت له، ولقي ترحيبا كبيراً في فارس على أنه محرر البلاد من المغول، فأعتقد أنه انتهى من أمر المغول فأخذ يوسع دولته واستولى على أطراف العراق[19] غير أن جلال الدين لم يعد يقوى على الوقوف في وجه غزو المغول الذين توالت انتصاراتهم على الجيوش الخوارزمية، وانتهى المطاف بجلال الدين إلى قرية من قرى جبال كردستان، حيث لقى مصرعه على يد أحد على كراد في سنة: 628 هـ 1231 م ، فسقطت بذلك الإمارة الخوارزمية بعد حكم استمر 138 عاما.[20]

المبحث الرابع ـ أسباب هزيمة الخوارزميين أمام المغول :

لقد تعددت أسباب الصراع بين الدولة الخوارزمية والمغول، وهي أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة، فمن الأسباب غير المباشرة:

1- الجذب الذي كان يسود أقاليم شرق آسيا حيث كانت حاضرة جنكيز خان تمر بقحط شديد، فكانت الحاجة كبيرة من المواد الغذائية لحياة الناس والدواب، فقام على الدين بإغلاق طرق التجارة، فأثر ذلك على توجه أنظارهم إلى الدولة الخوارزمية. (21)

2- ان المغول في هذه الفترة يعيشون أمجاد انتصاراتهم في الصين وغيرها من المناطق، فكان لابد من السيطرة على المناطق المجاورة.

3- إن الخليفة الناصر لدين الله، اتصل ب جنكيز خان بعد التأزم العلاقة بينه وبين علاء الدين محمد خوارزم شاه، وحرضه على الهجوم على الخوارزميين. (22)

أما الأسباب المباشرة التي كانت تعد شائعة الصدام بين الخوارزميين والمغول فهو حادث التجار الذين قاموا بقتلهم الخوارزميين على أنهم جواسيس من قبل جنكيز خان، فحتى تكون الحرب مقنعة لكلا الطرفين فلا بد من وجود سبب يدعو إلى الحرب، فبحث جنكيز خان عن سبب مناسب فلم يجد، ثم حدث أمر مفاجئ يصلح أن يكون سببا مقنعا للحرب، فكان هذا الأمر أن مجموعة من التجار المغول ذهبوا إلى مدينة أترار الإسلامية في شرق مملكة خوارزم شاه، وفي حدود الدولة المغولية (23)، امسكهم حاكم المدينة وقتلهم.

وقد اختلفت الآراء حسب سبب قتلهم، منهم من يقول إنهم كانوا جواسيس أرسلهم جينكيز خان للتجسس على الدولة الإسلامية، ومنهم من يقول إنه كان عمداً من حاكم مدينة أترار رداً على عمليات السلب والنهب التي قام بها المغول في بلاد ما وراء النهر، وهي بلاد خوارزمية مسلمة، ويقول رأي آخر أن جنكيز خان أرسل بعضا من رجاله إلى أرض المسلمين ليقتلوا تجار المغول هناك، حتى يكون سبب الغزو الخوارزميين. (24)

فكل هذه الاحتمالات واردة، قتل التجار أو الجواسيس فكان من الطبيعي أن تسوء العلاقة بين الدولتين بعد حادثة التجار، فأرسل جنكيز خان رسالة السلطان يطلب منه تسليم حاكم مدينة الترار لحكمه علاقات للتجار المغول، لكنه رفض، فقام بقتل الوفد الذي يحمل الرسالة، دون معرفة عاقبة الأمور بعد ذلك، فكان هذا سبب مباشر في اشتعال نار الحرب. (25)

فأسباب هزيمة الخوارزميين أمام المغول، لم يكن بسبب المأساة التي حدثت بالخوارزميين أو في قوة وعدد المغول، إنما كان بسبب الفرقة والتشتت بين ممالك المسلمين، فبالإضافة إلى داء الفرقة، فقد أخطأ السلطان الخوارزمي جلال الدين الذي بالرغم من تحصينه للعاصمة، إلا أنه ترك كل المساحات الشرقية في دولته دون حماية كافية، وهذا إن دل فإنه يدل على سوء القيادة العسكرية لديه. (26)

سلطان جلال الدين كان آخر سلاطين الدولة الخوارزمية: (617-628 هـ/ 1220-1231م)، الذي أظهر كفاءة ومقدرة عالية في الدفاع عن الدولة الخوارزمية، من الأخطار الخارجية، إن أنه لم يستطيع الصمود أمام الغزو المغولي الذي اجتاح دولته سنة: 628هـ- 1231م، وانتهى بقتله، وبذلك سقطت الدولة، وتمزقت من بعده.

وبذلك نجح المغول في السيطرة على معظم الدولة الخوارزمية ومن أهمها مدينة أتر ار، وسمرقند، والعاصمة خوارزم. (27)

المبحث الخامـــس ـ الخوارزميين والخلافة العباسية:

كانت الخلافة العباسية تحت حكم الخليفة الناصر لدين الله، والذي حكم فترة طويلة امتدت في سنة 575 هـ حتى 622 هـ وعلى الرغم من طول هذه المدة التي لم تتح لخليفة من قبله، فإنه لم يستغلها جيدا لصالح دولته. (28)، وعندما حاول كلهم من علاء الدين تكشن، وابنه على الدين محمد بسط نفوذهم وهيمنتهم على دولة الخلافة، عقب زوال دولة السلاجقة، ولم يكن العباسيون يرضون بذلك بعد أن تنفس الصعداء بزوال دولة السلاجقة، فلا يريدون أن يخضعوا مرة أخرى لسيطرة قوة جديدة عليهم، فلقد حدثت عدة محاولات من قبل الخوارزميين لإخضاع دولة الخلافة، لكنهم فشلوا في تحقيق ذلك. (29)، فقد تطلع السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه إلى السيطرة على بغداد، بعد أن يتســع ملكه على حساب الخطأ، في الشرق، وال غوريون في الجنوب، واعتزم المطالبة، بأحقيته في بغداد، فكان هناك عدة أسباب لمهاجمة الخلافة العباسية منها:

1- رغبته في أن تكون له الكلمة العليا على الخليفة العباسية، مثله مثل الدولة السلجوقية، وكان الخليفة العباسي رافضا لذلك.

2- حين استولى على أملاك الدولة الغورية وجد في خزائن السلطان شهاب الدين رسائل بعث إليها الخليفة العباسي الناصر الذين الله يحرضه على مهاجمة الخوارزميين. (30)

3ـ كان الخليفة يؤلب حكام الدول الإسلامية المجاورة عليه، مثل أذربيجان، وأصفهان، وأيضا حرض الإسماعيلية على قتل نائبه في العراق.

4ـ أنه رأى أن الخلافة العباسية لم تعد تمثل الإسلام، حيث انشغل الخلفاء لمصالحهم الشخصية عن الجهاد في سبيل الله، ونشر الدعوة الإسلامية في المناطق الوطنية المجاورة. (31)

فأصبحت العلاقة بين الطرفين في مراحلها الأخيرة يخيم عليها العداء، ومما زاد الأمر سوءا أن السلطان علاء الدين أعلن أن الشيعة هم أولى الناس بالخلافة، فعقد مجمع من رجال الدين، أقــروا خلع الخليفة العباسي، الذي يتحالف مع الوثنيين بزعمه، وبايعوا رجلا شيعيا اسمه (علاء الملك) بالخلافة، وحذفوا اسم الخليفة الناصر في الخطبة ومن العملة. (32)

وبعد موت السلطان الخوارزمي، واستلم ابنه جلال الدين متكبري الحكم، إلا أن العلاقات ظلت سيئة مع الخلافة، واستطاع جلال الدين أن يستولي على العديد من الأقاليم، وقد ركّز جهوده على التوسع على حساب القوة المجاورة له، كما قرر أن ينتقم من أعدائهم الذين لم يناصر وهم أثناء الغزو المغولي، وفي مقدمتهم الخلافة العباسية، فتوجه نحو البصرة واتسمت حملاته على هذه المناطق بالنهب والسلب وقطع الطرق، فلما وصل جيش حملات جلال الدين إلى بغداد، فانزعج الخليفة الناصر لدين الله من ذلك، وحصن بغداد، ولكن جلال الدين لم يتجه إليها؛ بل اتجه إلى دقوقا، ودخل بالقوة وحرق المدينة، واستطاع دخول عــدّة قرى مثل النهروان، وزادان، وهي مدينة بجانب بغداد، وبعد أن توفي الخليفة الناصر لدين الله وتقلد الحكم من بعده ابنه الظاهر بأمر الله، حاول تحسين العلاقة بينه وبين جلال الدين إلا أنه توفي، وتقلد الحكم ابنه أبو جعفر المنصور ولقب بالمستنصر بالله، وقد انتهج نفس سياسة أبيه في الحكم، فتعثرت العلاقة بين الخلافة وجلال الدين مرة أخرى في عهده، ولكن سرعان ما ساد السلام بينهما بعد أن قبل جلال الدين شروط الخليفة سنة 626 هـ 1229 م ، والتي كانت ألا يتعدى على الأمراء المسلمين المقربين إليه، ومن بينهم أمير الموصل، وأمير أربيل، وأيضا إقامة الخطبة له على منابر سائر الدولة الخوارزمية. (33)

وعلى الرغم من فروسية وشجاعة جلال الدين، إلا أنه كان يفتقر إلى روح السياسة والنظام لتدعيم مركزه، فلم يغتنم الفرصة بالتعاون مع الخلافة العباسية، وجمع كلمة المسلمين، فكانت علاقه بالخلافة العباسية سيئة، ولم تكن جيدة أو ودية. (34)

المبحث السادس ـ علاقة الدولة الخوارزمية مع الأيوبيين والإسماعيلية:

بعد استيلاء علاء الدين تكشن على مدينة بخارى سنة594هـ، 1127م، وخاض معركة كبيرة ضد أهلها، وضم قبائل الخطأ، تفرغ إلى محاربة الإسماعيلية، فقام بمهاجمة قلاع الإسماعيلية، فاستولى على قلعة أرسلان شاه، وهي من أهم القلاع القريبة من قزوين، ثم انتقل لحصار قلعة الموث، لكنه عاد إلى خوارزم، وأسند إلى ولده قطب الدين مهمة استئناف القتال ضد الإسماعيلية، فحاصر قطب الدين قلعة ترشيش، وأرغم أهلها على طلب الصلح، مقابل مائة ألف دينار، وكان قطب الدين ينوي المواصلة لولا أن بلغه خبر مرض أبيه، فاضطر إلى العودة إلى خوارزم. (35)

أما علاقة الخوارزميين بالأيوبيين فتعود أولى علامات تلك العلاقات بين الطرفين إلى عهد الملك العادل محمد بن الأمير الأيوبي، (615هـ، 1218م)، حيث كانت العلاقات ودية، وكان هذا الوقت سلطان على الدين محمد خوارزم شاه، أرسل السلطان إلى الملك العادل أثناء تواجده بما رجال صفر، وهو أحد المروج الواقعة حول مدينة دمشق، مبعوثا عاملا في تكوين حلف دي مواجهة المخاطر التي تتعرض لها بلاده، وبالمقابل أجابه الملك العادل صاحب مصر بإيفاد سفارة إلى خوارزم شاه، إلا أن الظروف شاءت أن يموت الملك العادل في نفس العام قبل أن تتبلور العلاقة بين الدولتين. (36)

وفي سنة: 619خـ/1223م، كانت الاتصالات الأيوبيين مع السلطان جلال الدين، حيث أرسل الملك المعظم عيسى الأيوبي، على سائلا إلى جلال الدين يستعين به على أخويه الكامل والأشرف، فأجابه بالسمع والطاعة، وذلك لتكوين حلف مع الأمراء المسلمين للتصدي للمغول، إلا أن جلال الدين استمر في ضم العديد من الأراضي لدولته ومن بينها الأخلاط وهي من أملاك الدولة الأيوبية التي حاصرها ودخلها سنة: 627هـ - 1230م، وعاث فيها فسادا بما لم يسمع مثيله. (37)

وأرسل الملك المعظم إلى السلطان جلال الدين الذي أصبح يسيطر على الأقاليم الغربية للدولة الخوارزمية، لإعادة توثيق العلاقة بينهما، فوافق السلطان خوارزمي على طلبه، وذلك لأنه رأى فرصة لتوسيع نفوذه على حساب البلاد المجاورة، وهي تعزيز التحالف قام الملك المعظم بتزويج ابنته لجلال الدين، وهذا لضمان التحالف، وكسب ود السلطان الخوارزمي، وذلك تفاديا ل بطشه لما رأى منهم من قوة وبطش

مكنته من فرض نفوذه على المناطق المحتلة، فكانت العلاقة بين الخوارزميين والأيوبيين ودية في أغلب الأحيان. (38)

المبحث السابع ـ علاقة الدولة الخوارزمية ببلاد الشام والجزيرة:

بعد المقطع السلطان جلال الدين سند: 1231/628، على يد أحد الأكراد الذي أخذ بثأر أخ له قتل بالأخلاط، ولما قتل جلال الدين دخلت جماعة من الأعيان على الملك الأشرف صاحب الجزيرة وحران وغيرها، فهنأه بموته، فقال لهم: تهنئونني به، وتفرحون، فسوف ترون عنته، أي عاقبة مقتله، والله لتكونن هذه الكسرة سببا لدخول التتار إلى بلاد الشام، فكان الخوارزمي الأمثل، والسد الأمنع الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج، فكان كما قال، وبمقتل جلال الدين تكون الدولة الخوارزمية قد انتهت بعد حكم دائما مائة وثمان وثلاثون عاما. (39)

فبعد مقتل جلال الدين لجأت القوات الخوارزمية إلى آسيا الصغرى وبلاد الجزيرة، وانتشرت فيها، فكانت تفتقر إلى من يعيد تنظيمها ويوجهها للوجهة الصحيحة، وذلك لحمل راية الجهاد ضد أعداء المسلمين سواء من المغول أو الصليبيين، إلا أن حكام آسيا الصغرى وبعض ملوك بني أيوب في الجزيرة والشام، لم يحسنوا استخدام تلك الجموع من الجيوش الخوارزمية. (40)

فقد استقرت العديد من جموع الخوارزميين، وهم مصحوبين معهم بذويهم وأولادهم في بلاد سلاجقة الروم، في الأناضول، ومنهم من استقر في الجزيرة حول حران، وقد أخذ الخوارزمي ونة يشيدون البيوت والمزارع في بعض المناطق والمدن، حتى تحصلوا عليها تي قطاع وانتقلوا للسكن بها.

ولفت الخوارزميين أنظار الملك الصالح أيوب، الذي تناسى السلوك غير الأخلاقية الذي سلكه الخوارزميين في الجزيرة والشام، فاستدعاهم لمساعدته في رد الزحف الصليبي، فتحالف الخوارزميين مع الصالح أيوب إلى تعديل كافة بين المسلمين والصليبيين في الشام، ويتمكن الجمهور الخوارزميين إلى استرداد بيت المقدس من الصليبيين ومن ثم انتصر على أعدائه ومن تحالف معهم من ملوك الشعب، وأنزل بهم هزيمة في غزة، سنة: 642 هـ، 1244 م ، وكذلك حدث بعد ذلك إعادة الوحدة من جديد بين مصر والشام، وكان هذا الانتصار له أكبر الأثر في تحطيم قوة الصليبيين، وتمهيد السبيل للمماليك بعد الانتهاء من الوجود الصليبي في بلاد الشام نهائيا، على تطهير بلاد الشام من المغول. (41)

المبحث الثامن ـ الحياة السياسية والاجتماعية في الدولة الخوارزمية:

عاش المجتمع في الدول الإسلامية حياة المملوءة بالرفاهية والرغد، حيث بالغ الناس في جمع المال، فاشتدت الأمراض الاجتماعية والمؤامرات السياسية، فكل من كان ينظر إلى الدولة الخوارزمية كان يعتقد بأنها دولة قوية ومتماسكة، غير أن الواقع كان غير ذلك، فقد استنزفت الحروب التي خاضتها الدولة الخوارزمية كل ثرواتها، وقضت على خبرة الجنود والمقاتلين، فقد كان الجيش الخوارزمي متكوّن من عدّة أجناس مختلفة من الغور والأتراك، وغيرهم من العناصر التي كانت أكثر الأحيان يحدث بينها الخلافات، وغير مضمونة الولاء، لذلك لم يكن الجيش الخوارزمي متجانسا. (42)

فالدولة الخوارزمية تكوّنت من عدد كبير من عناصر السكان الذين ضمتهم الدولة السلجوقية من قبل، ومن هذه العناصر الفارسية والعربية والتركية، فقد نزح عدد كبير من الأتراك إلى الدولة الخوارزمية، لارتباطهم بروابط مصاهرة معهم، لهذا فقد حافظت الدولة الخوارزمية على نظامها وتقاليدها الاجتماعية التي كانت عليها. (43)

أما من الناحية الداخلية ففي عهد السلطان محمد خوارزم شاه كانت علاقته بالعلماء والفقهاء علاقة سيئة، وأدى ذلك إلى سوء علاقته بالشعب، فقد كانت الفتوى التي انتزعها من العلماء والفقهاء بعدم أحقية الخلفاء العباسيين بالخلافة، وأن العلويين أحق بها منهم، فسبب ذلك العلاقة السيئة مع الرعية والعلماء، ومهما يكن من أمر فإن السلطان محمد خوارزم شاه كان شخصا حسن في عقيدته، وشجاعته، على الرغم من أخطائه السياسية. (44)

فإقليم خوارزم كان إقليما غنيا، وكان أهله يعيشون بثراء، مما سهل عليهم إرسال أبنائهم للتعلم في الكتاتيب والحلقات العلمية، في المساجد، أيضا كان السلاطين الخوارزميين يهتمون بالنشاطات العلمية، فقد كان هم علماء خوارزم الأول إرشاد المجتمع إلى الطريق الصحيح للإسلام، والدين والعدل والمساواة، وذلك من خلال خطبهم في المساجد، ومن خلال حلقات العلم أيضا.

الخاتمة:

1ـ استطاع الخوارزميين إقامة دولة واسعة على حساب الدول الإسلامية المجاورة.

2- لم تستطع الدولة الخوارزمية الصمود أمام قوة المغول عندما استحوذ على البلاد الإسلامية، وذلك بسبب عدم تقدير قوتهم من قبل السلطان جلال الدين مت كبري، آخر سلاطين الخوارزميين.

3- لم يعد بإمكان الخوارزميين العودة إلى بلادهم بسبب المغول لذلك انتشروا في مدن الشام والجزيرة واستقروا بها.

4- من أهم أسباب ضعف الدولة الخوارزمية صراع السلاطين فيما بينهم.

5- كانت الدولة الخوارزمية سدا منيعا بالنسبة للمسلمين أمام الأخطار الخارجية.

6- إنه أطماع الخوارزميين التوسعية نحو العراق كان هدفهم إنهاء الخلافة العباسية.

الهوامـــــــــــــش:

1- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، (ت: 285هـ)، ت: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1973م، ص: 178.

2- تاريخ الإمارات الإسلامية بالشرق الإسلامي، فراس سليم السامرائي، جامعة بابل، دار الرضوان، عمان، ط1، 2015، ص190.

3- النجوم الزاهرة، أبو المحاسن، 303/5، تاريخ الإمارات الإسلامية بالمشرق، السامرائي، ص: 191.

4- علاقة الدولة الخوارزمية بالقوى في بلاد الشام، عابدين عبد الرزاق بن عبد الله الغريبي، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، ص34.

5- تاريخ الإمارات، السامرائي، ص: 192-193.

6- علاقة الدولة الخوارزمية بالقوى في بلاد الشام، عابدين عبد الرزاق بن عبد الله الغريبي، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، ص36.

7- اتحاف الأخطاء بفضائل المسجد الأقصى، كمال الدين محمد السيوطي، دار الكتب المصرية، 1829م، ص: 194.

8- تاريخ الإمارات الإسلامية بالشرق الإسلامي، فراس سليم السامرائي، جامعة بابل، دار الرضوان، عمان، ط1، 2015، ص: 194.

9- تاريخ الإمارات الإسلامية بالشرق الإسلامي، فراس سليم السامرائي، جامعة بابل، دار الرضوان، عمان، ط1، 2015، 194.

10- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم، ابن خلدون، بيروت،1958م، ص: 322.

11- علاقة الدولة الخوارزمية بالقوى في بلاد الشام، عابدين عبد الرزاق بن عبد الله الغريبي، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، ص:36.

12- تاريخ الإمارات الإسلامية بالشرق الإسلامي، فراس سليم السامرائي، جامعة بابل، دار الرضوان، عمان، ط1، 2015، ص:196.

13- المشرق الإسلامي بعد العباسيين (565هـ/1343م)، عصام الدين عبد الرؤوف الفقيه، محمد السعيد جمال الدين، دار السفير، القاهرة، ص: 6.

14- علاقة الدولة الخوارزمية بالقوى في بلاد الشام، عابدين عبد الرزاق بن عبد الله الغريبي، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، ص:37.

15- المشرق الإسلامي بعد العباسيين (565هـ/1343م)، عصام الدين عبد الرؤوف الفقيه، محمد السعيد جمال الدين، دار السفير، القاهرة، ص: 7، تاريخ الإمارات الإسلامية السامرائي، ص: 199.
16- تاريخ الإمارات الإسلامية بالشرق الإسلامي، فراس سليم السامرائي، جامعة بابل، دار الرضوان، عمان، ط1، 2015، ص:200.
17- . المشرق الإسلامي بعد العباسيين (565هـ/1343م)، عصام الدين عبد الرؤوف الفقيه، محمد السعيد جمال الدين، دار السفير، القاهرة، ص:21.
18- . الدولة الخوارزمية والغزو المغولي، الجوهر بن سحيري، سامية زباد، 490- 628هـ / 1096- 1230م)، رسالة الماجستير، جامعة يحيى فارس، كلية العلوم الإنسانية، 2017م، ص: 106.
19- . الدولة الخوارزمية في بلاد الشام، حسين كاظم خيول، مجلة ديالي، معهد إعداد المعلمين، العدد الثالث والخمسون، ص: 171-172.
20- . تاريخ الإمارات الإسلامية بالشرق الإسلامي، فراس سليم السامرائي، جامعة بابل، دار الرضوان، عمان، ط1، 2015، ص: 200-201.
21- . الدولة الخوارزمية والمغول، حافظ أحمد حمدي، دار الفكر، ط1، 1999م، ص: 111.
22- . الدولة الخوارزمية والمغول، حافظ أحمد حمدي، دار الفكر، ط1، 1999م، ص112.
23- . المشرق الإسلامي بعد العباسيين (565هـ/1343م)، عصام الدين عبد الرؤوف الفقيه، محمد السعيد جمال الدين، دار السفير، القاهرة، ص:25.
24- . الدولة الخوارزمية والمغول، حافظ أحمد حمدي، دار الفكر، ط1، 1999م، ص: 114-119.
25- . المشرق الإسلامي بعد العباسيين (565هـ/1343م)، عصام الدين عبد الرؤوف الفقيه، محمد السعيد جمال الدين، دار السفير، القاهرة، ص: 25-26.
26- . الدولة الخوارزمية والمغول، حافظ أحمد حمدي، دار الفكر، ط1، 1999م، 117-119.
27- . الدولة الخوارزمية والمغول، حافظ أحمد حمدي، دار الفكر، ط1، 1999م، ص: 34.
28- . المشرق الإسلامي بعد العباسيين (565هـ/1343م)، عصام الدين عبد الرؤوف الفقيه، محمد السعيد جمال الدين، دار السفير، القاهرة، ص5.
29- . علاقة الدولة الخوارزمية بالقوى في بلاد الشام، عابدين عبد الرزاق بن عبد الله الغريبي، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، ص: 38.
30- المشرق الإسلامي بعد العباسيين (565هـ/1343م)، عصام الدين عبد الرؤوف الفقيه، محمد السعيد جمال الدين، دار السفير، القاهرة، ص: 8.
31- . المشرق الإسلامي بعد العباسيين (565هـ/1343م)، عصام الدين عبد الرؤوف الفقيه، محمد السعيد جمال الدين، دار السفير، القاهرة، ص:8.
32- . الدولة الخوارزمية والمغول، الجوهري، ص: 146، المشرق الإسلامي بعد العباسيين، الفقيه، ص:8.
33- . الخوارزميين في بلاد الشام والجزيرة، ص: 172.
34- . الدولة الخوارزمية والغزو المغولي، الجوهر، مصدر سابق، ص: 148.
35- تاريخ الإمارات الإسلامية بالشرق الإسلامي، فراس سليم السامرائي، جامعة بابل، دار الرضوان، عمان، ط1، 2015، ص: 197.
36- الخوارزميين في بلاد الشام والجزيرة، ص:166.
37- الدولة الخوارزمية والغزو المغولي، ص: 151.
38- الخوارزميين في بلاد الشام والجزيرة، ص: 172، الدولة الخوارزمية والغزو المغولي، جوهر، ص: 152.
39- الخوارزميون في بلاد الشام والجزيرة، ص: 175.
40- . الخوارزميون في بلاد الشام والجزيرة، ص: 175.
41- . بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، علي محمد الغامدي، مكة، ط1، 1408هـ، 1988م، ص: 475.

42- . المشرق الإسلامي بعد العباسيين (565هـ/1343م)، عصام الدين عبد الرؤوف الفقيه، محمد السعيد جمال الدين، دار السفير، القاهرة، ص: 10

43- . تاريخ الدولة المغولية في إيران، عبد السلام عبد العزيز فهمي، دور المعارف، القاهرة، 1981م، ص: 235.

44- المشرق الإسلامي بعد العباسيين (565هـ/1343م)، عصام الدين عبد الرؤوف الفقيه، محمد السعيد جمال الدين، دار السفير، القاهرة، ص:11.

الملاحـــــــــــــق:

سلاطيـــــــن الدولة الخوارزمية	
السلطـــــــــان	**فترة الحكم**
أنوشتكيـــــــــن	**(470هـ– 1077م).**
قطب الدين محمـــد	**(491هـ– 1098م).**
آتسز بن محمـــــد	**(522هـ - 1128م).**
آيل أرســـــــلان	**(551هـ - 1156م).**
سلطان شاه محمـد	**(568هـ - 1172م).**
علاء الدين تكـــش	**(568هـ - 1172م).**
علاء الدين محمـــد	**(596هـ - 1200م).**
جلال الدين متكبري	**(638هـ - 1131م).**

خريطة توضح الدولة الخوارزمية في أقصى توسع لها بواسطة Sgh45 - عمل شخصي و4.0 CC BY-SA و https://commons.wikimedia.org/w/index.php?curid=139612668